الْمَجْلِسُ الثَّانِيْ مِنَ الْلِقَاءَاتْ الرَّمَضَانِيَّةِ لِعَامْ ١٤٣٩ هـ[1]

بِعِنْوَانْ: "نِعْمَةُ بُلُوْغِ شَهْرِ رَمَضَانْ"

لِصَاحِبِ الْفَضِيْلَةِ الْمُدَرِّسِ فِيْ الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِيْ الْمَدْخَلِيِّ حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَىْ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أيُّهَا الإخوةُ في الله، إنَّ بلوغَ شَهْرِ رمضانَ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ الله علينا، وكما قلنا بالأمس؛ كَمْ مِنْ إخوةٍ وأحبَّةٍ لنا كانوا يُؤَمِّلُونَ بُلُوْغَهُ حِيْلَ بينهم وبين ذلك، وقد تخطَّفَهُمُ الموتُ، وتَعَدَّى غَيْرُهُمْ إليهم، وسَيَتَعَدَّىْ غَيْرُنَا إِلَيْنَا.

فالواجب علينا جميعًا _مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ_، أَنْ نَحْمَدَ اللهَ _جَلَّ وَعَلَاْ_ على هذه النِّعْمَةِ العظيمة، وهي بُلُوْغُ هذا الشَّهْرِ.

إِخْوَانِيْ، إنَّ صِيَاْمَ شَهْرِ رمضان سَتْرٌ مِنَ النار كما صَحَّ ذلك عن رسول الله _صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_، في حديث جابر بن عبدالله _رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَاْ_، الذي خَرَّجَهُ الإمامُ أحمدُ في مسنده، حيث قال _رَضِيَ اللهُ عَنْهُ_: قال رسولُ الله _صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_: "الصِّيَاْمُ جُنَّةٌ يَسْتَجِنُّ بِهَاْ الْعَبْدُ مِنَ النَّاْرِ"، "الصِّيَاْمُ جُنَّةٌ يَسْتَجِنُّ بِهَاْ الْعَبْدُ مِنَ النَّاْرِ"، والْجُنَّةُ هي التي تكون بِيَدِ الْمُقَاْتِلِ، يَتَّقِيْ بها ضَرْبَ السيوف، تكون في يُسْرَاْهُ، فيضرب بالسَّيْفِ بِيُمْنَاْهُ، فإذا ضربَهُ الْخَصْمُ؛ اتَّقَاْهُ بالْجُنَّةِ هذه التي في يُسْرَاْهُ، وهي التُّرْسُ.

فالصِّيَاْمُ _مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ_ نعمة مِنَ الله عظيمة، أَنْعَمَ بها على عباده، وكَوْنُهُ فَسَّحَ لنا في الْأَجَلِ، وأَمَدَّنَا بالْعُمُرِ؛ فالواجب علينا أن نستغلَّ ذلك في صالح العمل، والقيام بحق الصيام، سَهْلٌ على مَنْ يَسَّرَهُ

---

[1] _ كان هذا اللقاء في مسجد بدري العتيبي بالمدينة النبوية، يوم الجمعة، الثاني، من شهر رمضان، عام ألف وأربعمائة وتسع وثلاثين من هجرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.

الله _جَلَّ وَعَلَاْ_ عليه، ولكنه ثَقِيْلٌ على مَنْ لم يُوَفِّقْهُ اللهُ _جَلَّ وَعَلَاْ_، نسأل الله التوفيق، ونعوذ به مِنَ الخذلان.

وكيف لا يكون الصيام جُنَّةً يَسْتَجِنُّ بها العبدُ مِنَ النار؟! كيف لا يكون وقد منع العبدَ مِنَ المعاصي والمحرمات؟! فإنَّ العبدَ إذا امتنع عن المعاصي والمحرمات، وقام بالطاعات؛ كان هذا أعظمَ سَبَبٍ في دخوله الجنة، فإنَّ الله _سُبْحَاْنَهُ وَتَعَاْلَىْ_ يقول: "كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إلا الصَّوْمُ، فَإِنَّهُ لِيْ، وَأَنَاْ أَجْزِيْ بِهِ"، وفي اللفظ الآخر عند مسلم: "كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ"، في حديث أبي هريرة _رَضِيَ اللهُ عَنْهُ_، "الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَاْ، إِلَىْ أَضْعَاْفٍ كَثِيْرَةٍ، قَاْلَ اللهُ _جَلَّ وَعَزَّ_: إِلَّاْ الصِّيَاْمُ، فَإِنَّهُ لِيْ، وَأَنَاْ أَجْزِيْ بِهِ"[٢].

يعني: لَيْسَ كَغَيْرِهِ، جزاؤُهُ لا يَعْلَمُهُ إلا اللهُ، فلَيْسَ لَهُ حَدٌّ مَحْدُوْدٌ كَبَقِيَّةِ الحسنات والأعمال الصالحات، بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضِعْفٍ، الصيام لا، قال الله _جَلَّ وَعَلَاْ_: "إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به"؛ لماذا؟ قال الله _جَلَّ وَعَلَاْ_: "يَدَعُ طعامَه وشرابَه وشهوتَه مِنْ أجلي"، وفي لفظ: "يدع شهوته وطعامه مِنْ أجلي"، فلا يأكل ولا يشرب في نهارِهِ طاعةً لله _تَبَاْرَكَ وَتَعَاْلَىْ_، وامتثالا لِأَمْرِهِ _سُبْحَاْنَهُ وَتَعَاْلَىْ_ لنا بقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[٣]، فهو يمتثل هذا.

ولقوله: {فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْه}[٤]، والإسلام قد بُنِيَ على خَمْسَةِ أَرْكَاْنٍ كما في حديث ابن عمر _رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَاْ_، ومنها: الصَّوْمُ، فهو يَمْتَثِلُ أَمْرَ اللهِ _جَلَّ وَعَلَاْ_ له بالصيام، فيدعُ طعامَه

---

[٢] _ صحيح مسلم (٢/ ٨٠٧/ ١١٥١): ولفظه: " كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعمِائَة ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي "

[٣] _ البقرة (١٨٣).

[٤] _ البقرة (١٨٥).

وشرابَه فيه، في نهاره، لله _تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ_، امتثالا لِأَمْرِهِ، وإيمانًا به، وابتغاءَ الثواب عنده _تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ_.

وإلا فالعبدُ يكون خالِيًا برَبِّهِ، لا يَطَّلِعُ عليه أَحَدٌ إلا الله، ومُتَمَكِّنٌ مِنْ أَنْ يأكلَ ويَشْرَبَ ويَفْعَلَ ما يَشَاْءُ، ولكنَّه يَمْنَعُهُ إيمانُه بالله العليِّ العظيم، وتصديقُه لِرَبِّه الكريم، امتثالُه لِأَمْرِهِ، واتباعُه لرسوله _صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_، فتَجِدُهُ خالِيًا، لا يراه أحدٌ، والطعام والشراب بين يديه، وهو يمنع نفسَه عنه، تَرَكَهُ لماذا؟ لِأَجْلِ اللهِ _تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ_، فهو الذي يراه، في حين أَنَّ الناسَ لا يرونه، فهو الذي يَطَّلِعُ عليه، في حين أن الناس لا يعلمونه، فَتَرَكَهُ لأجل الله _جَلَّ وَعَلَاْ_.

وهكذا "يَدَعُ طَعَاْمَهُ وشَرَاْبَهُ وشَهْوَتَهُ مِنْ أجلي"، مِنْ أجل الله _جَلَّ وَعَلَاْ_، سواءً كانت الشهوة الحلال، لكنها مع الصيام محرمة؛ كإتيان الزوجة، والإماء، الجواري، مُلْكِ الْيَمِيْنِ، هي مباحة في النهار كُلِّه إلا في نهار رمضان، فيمتنع عن ذلك لأجل الله _تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ_، وخوفًا مِنَ الله _تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ، ومراقبةً لله _تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ_، وطمعًا فيما عند الله _تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ_، فكان ذلك كُلُّه لِأَجْلِ الله.

وهكذا الشهوات المحرمة؛ مِنْ نَظَرٍ مُحَرَّمٍ، والفعل الْمُحَرَّمِ، والسَّمَاْعِ الْمُحَرَّمِ، هو خَاْلٍ بِهِ، لا يَطَّلِعُ أَحَدٌ عليه، لكنه لا يفعله؛ خوفًا مِنَ الله _تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ_.

فعاد الأمْرُ في هذا كُلِّهِ أنه ترك شهوتَه لأجل الله _جَلَّ وَعَلَاْ_، فهذا هُوَ، فيَمْنَعُ الصَّوْمُ الْعَبْدَ، فلهذا كان سَبَبًا في أن يَشْفَعَ فيه، كما جاء ذلك في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص _رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَاْ_ في المسند، الصِّيَاْمُ شَاْفِعٌ مُشَفَّعٌ، فإنه قد جاء عنه _رَضِيَ اللهُ عَنْهُ_ عند الإمام أحمد قال: قال رسول الله _صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_: "الصيام والقرآن يَشْفَعَاْنِ في العبد يَوْمَ القيامة، يقول الصيامُ: أَيْ ربِّ، مَنَعْتُهُ طعامَهُ وشهوته فَشَفِّعْنِيْ فيه، ويقول القرآنُ: أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ النَّوْمَ في الليل فَشَفِّعْنِي فيه" قال _صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_: "فيشفعان".

ماذا أَسْهَلُ مِنْ هذا العمل؟ لا شَيْءَ، كُلُّهُ امتناع عما يَضُرُّكَ، حتى ولو كنت مفطرًا، فالأول امتناعٌ عن الشهوة الْمُحَرَّمَةِ، بقسميها كما قُلْتُ لكم، الْمُحَرَّمَةِ وَقْتِيًّا عليه: كَوَطْءِ الزوجة والإماء (مُلْكِ اليمين) في النهار، وإِنْ كان ذلك مباحًا له في الليل، والْمُحَرَّمِ عليه في الليل والنهار مِنَ الشهوات المحرمة الأخرى، مِنْ زِنَىْ وفجورٍ ونَحْوِهِ، الصيام يَمْنَعُهُ مِنْ ذلك كُلِّهِ، فَيُشَفِّعُهُ اللهُ فيه؛ لأنه تَرَكَ هذه الشهوة لأجل الله.

وهكذا القرآن امْتَنَعَ عَنْ هُجْرَانِهِ، وقام بقراءته وتَدَبُّرِهِ وتَأَمُّلِهِ، فهو مأجور على كُلِّ حَرْفٍ يقرؤه، ومع ذلك يأتيه أكثر مِنْ هذا، اقرؤوا القرآن كما ذكرنا فإن لكم بكل حَرْفٍ تقرؤونه عشر حسنات، لا أقول "ألم" حَرْفٌ، ولكن "أَلِفٌ" حَرْفٌ، و"لامٌ" حَرْفٌ، و"مِيْمٌ" حَرْفٌ، فهذه ثلاثون حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، إلى أَضْعَافٍ كثيرة، ومَعَ ذَلِكَ، فَوْقَ هَذَاْ الْأَجْرِ أَنَّهُ يَشْفَعُ في العبد فَيُشَفَّعُ، فهذا الحديث حديث عظيم، فهما أيضا سببان (الصيام وقراءة القرآن)، سببان في عدم دخولنا النار _مَعَاْشِرَ الْأَحِبّةِ_.

فماذا يَنْقُصُ العبدُ لو جَعَلَ له كُلَّ يَوْمٍ جزءًا؟ الصَّبَاحَ حِزْبٌ، قبل أن يذهب لعمله، بعد الفجر، ما يأخذ منه عشرَ دقائق، والمسَاْءَ إذا أراد أن ينام؛ يقرأ قبل أَنْ ينام حِزْبًا، كذلك ما يأخذ منه عشر دقائق، فيكون في اليوم قد قرأ جُزْءًا، لأن القرآن سِتُّوْنَ حِزْبًا، ثلاثون جزءًا، في كل جزء حِزْبَاْنِ، فيقرأ الصَّبَاْحَ حِزْبًا، والمساء حِزْبًا، فما ينتهي الشهر إلا وقد فَرَغَ.

وفي رمضان ينبغي أن يُعْتَنَىْ بتعديد الختمات، فإن النبي _صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_ كان يقرأ القرآن مع جبريل _عَلَيْهِ السَّلَاْمُ_ في رمضان كُلَّ عَامٍ مرة، حتى كان العام الذي قُبِضَ فيه، يعني: لم يَعُدْ عليه رمضان آخر، فَدَاْرَسَهُ فيه جبريل _عَلَيْهِ السَّلَاْمُ_ القرآن، فَخَتَمَهُ مَعَهُ مَرَّتَيْنِ.

فينبغي لنا أن نحرص على الإكثار، فلو أراد العبدُ في رَمَضَاْنَ مَرَّتَيْنِ؛ أخذ كُلَّ يَوْمٍ جُزْأَيْنِ، جُزْءًا في الصَّبَاْحِ بَدَلَ الْحِزْبِ، وجُزْءًا في المساء بَدَلَ الْحِزْبِ، ففي خمسة عشر يومًا يَخْتِمُ، وفي نصف الشهر

الثاني يَخْتِمُ، فيكون خَتَمَ مَرَّتَيْنِ كما خَتَمَ النبيُّ _صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_ مرَّتَيْنِ، وإن كان فَرْقٌ بين الْخَتْمَتَيْنِ، ولكن في الأجر إن شاء الله لا يُحْرَمُ، فيكون خَتَمَ مَرَّتَيْنِ.

الشَّاهِدُ أَنَّ الصيام جُنَّةٌ نَسْتَجِنُّ بها مِنَ النار، وذلك لأن الله يُشَفِّعُهُ فينا، فَيَشْفَعُ فِيْنَاْ كما سمعتم، فَيُشَفَّعُ، فَيُجِيْرُنَا اللهُ _جَلَّ وَعَلَاْ_ مِنَ النار.

والصِّيَاْمُ كما قال الله فيه: "يَدَعُ طعامَه وشهوتَه مِنْ أَجْلِي"؛ يصبر عن ذلك كُلِّه، فلما كان صابرا في هذا الصيام عن محارم الله؛ نَاْسَبَ أن يَشْفَعَ فِيْهِ.

الصيام يجتمع فيه أنواعُ الصَّبْرِ الثلاثة: الصَّبْرُ على طاعة الله، والصَّبْرُ عن معصية الله _تَبَاْرَكَ وَتَعَاْلَىْ_، فإن الصبر على ثلاثة أقسام: صَبْرٌ على طاعة الله، وصَبْرٌ عن محارم الله _تَبَاْرَكَ وَتَعَاْلَىْ_، وهما مجتمعان فيه، حيث يصبر عن المحارم كما سمعنا، ويصبر على الطاعة لأنه يرجو الثواب، "مَنْ صَاْمَ رمضان إيمانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ له ما تقدَّم مِنْ ذنبه"، فهو يرجو الثواب، وصَبْرٌ على أقدار الله الْمُؤْلِمَةِ، فإنه يَحِسُّ بآلام الجوع والْعَطَشِ، لكنه يَصْبِرُ على ذلك ابتغاءَ الْأَجْرِ عند الله.

وإذا كان كذلك فَنَاْسَبَ أَنْ يكون صاحِبُه مِنَ الصابرين الذين يُوَفَّوْنَ أَجْرَهُم بغير حساب، فإن الله _جَلَّ وَعَلَاْ_ يقول: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}[٥].

فالصَّبْرُ قد اجتمع كلُّه بأنواعه في هذا الشهر، ولهذا لم يدخل في الحساب، قال الله فيه: "إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به".

---

[٥] _ الزمر (١٠).

فاللهَ اللهَ _مَعْشَرَ الْإِخْوَةِ_ في الحرص، واللهَ اللهَ _مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ_ في المسارعة إلى الخير وتَصْبِيْرِ النَّفْسِ عليه، فما هي إلا أيامٌ مَعْدُوْدَةٌ، فها نحن اليوم في أَوَّلِهِ، وما هي إلا لَيَالٍ وسنقول: لا إله إلا الله كأنه دَخَلَ علينا بالأمس!

والطاعات خفيفةٌ على قلوب الطائِعِيْنَ، وثقيلةٌ على قلوب العاصِّيْنَ، ولو يَعْلَمُ النَّاسُ ما في رمضان حقيقةً مِنَ الفضل والخير لَتَمَنَّوْا السَّنَةَ كُلَّهَا رَمَضَانْ.

أسأل الله _سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ_ بأسمائه الحُسْنَى، وصفاته الْعُلَاْ، أن يوفِّقَنا وإياكم لصيامه وقيامه على الوجه الذي يُرْضِيْهِ عنَّا، كما أسأله _سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىْ_ أن يتقبَّلَهُ مِنَّا، وأَنْ يُبَلِّغَنَا _كما بلَّغَنَا أَوَّلَهُ_ يُبَلِّغَنَا آخِرَه، وأن يجعله شافِعًا فينا، وحِجَابًا وسترًا لنا مِنَ النار، اللهم إنا نسألك العون والثبات، اللهم إنَّا نسألك العون على الطاعة، والثبات على الحق والهدى حتى نلقاك، اللهم اغْفِرْ لنا ولآبائنا وأمهاتنا وأزواجنا وذرياتنا وإخواننا وجميعِ مَنْ أوصانا بالدعاء له، يا حَيُّ يا قَيُّومُ، اللهم اجعلْنَا مِمَّنْ صام هذا الشهر إيمانًا واحتسابًا وغُفِرَ له ما تقدَّمَ مِنْ ذنبه، اللهم اجعلنا مِمَّنْ تَلَاْ القرآنَ ابتغاءَ أَجْرِهِ فَشَفَّعْتَهُ فيه يا رَبَّ الْعَالَمِيْنَ.

وصَلَّىْ اللهُ وسَلَّمَ وبَارَكَ عَلَىْ عَبْدِهِ وَرَسُوْلِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىْ آلِهِ وأَصْحَابِهِ وأَتْبَاْعِهِ بِإِحْسَانٍ إِلَىْ يَوْمِ الدِّيْنِ.

[السؤالات]

سُؤَالٌ قد وَرَدَ عليَّ في الصيام، ونحن نُجِيْبُ هنا عما يتعلق بالصيام، مُقَدَّمٌ؛ يَسْأَلُ، يقولُ: امرأةٌ في أَوَّلِ حَيْضِهَا _يعني: مع دخول رمضان_ لكنها أخذَتْ يومين، وانقطع عنها الدَّمُ في أوَّلِ رمضان، فصامَتْ، ثم رَجَعَ إِلَيْهَا؟

الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الدَّمَ تَأَخَّرَ عنها يومًا، وإلا فهي في عِدَّةِ الحيض، وذلك لأنها لم تَرَ الطُّهْرَ حقيقةً، وإذا كان هكذا؛ فعليها ألا تصومَ حتى تَنْتَهِيَ أَيَّامُهَا التي اعْتَادَتْهَا، فإذا انتهت أيامُها التي اعْتَادَتْهَا ورَأَتِ الطُّهْرَ؛ حينئذ تغتسل وتصوم، وأما هذا الصِّيَامُ فهو غير صحيح؛ لأنه في وقت الحيض، لأنه في وقت الحيض.

فينبغي للمسلم أَنْ يَسْأَلَ قَبْلَ أَنْ يَفْعَلَ، فإن السؤال قبل العمل فيه السَّلَامَةُ، وفيه التصحيح للعمل، لأن العمل لا يكون صحيحا إلا بعد أن يعلم العبدُ أنه صحيح، وكيف يعلم أنه صحيح؟ يعلمه بالدلائل، الأدلة الشرعية مِنَ القرآن، ومِنَ السنة، وهذا يُبَيِّنُه أهلُ العلم، قال _جَلَّ وَعَلَا_: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}[٦]، والنبيُّ _صَلَّىْ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_ يقول: "أَلَّا سَأَلُوْا إِذْ هُمْ جَهِلُوْا، فإنما سؤالُ الْعِيِّ السُّؤَالُ"، فالإنسان إذا كان لا يعلم يسأل، وليس عيبًا، فإن الحق لا يُسْتَحْيَا منه، ولا حياءَ في الدين، سواء كانت امرأة، أو كان رَجُلًا، فعليه أَنْ يَسْأَلَ، ويَجِدَ الْجَوْابَ؛ ليعمل صحيحا بإذن الله _تَبَارَكَ وَتَعَالَىْ_.

صَلَّىْ اللهُ وسَلَّمَ وبَارَكَ عَلَىْ عَبْدِهِ وَرَسُوْلِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىْ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ بِإِحْسَانٍ[٧].

---

٦ _ النحل (٤٣)، الأنبياء (٧).

٧ _ مَا كَانَ مِنْ خَطَأٍ فِيْ التَّفْرِيْغِ فَلِمَا فِيْ الْإِنْسَانِ مِنْ قُصُوْرٍ وَتَقْصِيْرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ وَيَتَحَرَّىْ الصَّوَابَ، فَجَزَىْ اللهُ مَنْ فَرَّغَهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ هَذَا فِيْ مِيْزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ، وَثَبَّتَهُ عَلَىْ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يَلْقَاهُ، اللَّهُمَّ آمِيْن.